مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

فُلْك نوح بمزار السلام ومردوده العقدي والنفسي على مجتمع الواحات خلال الفترة من القرن الخامس إلى السابع الميلادي دراسة حضارية أثارية فنية

د/عصام أحمد آدم صالح(*)

الملخص:

عانى سكان الواحات المصرية من قسوة الرومان والبيزنطيين الذين حولوهم إلى عبيد، مما أدى إلى تدهور حالتهم النفسية والدينية، فسعت الكنيسة المسيحية إلى إعادة إحياء إيمانهم وثقتهم بأنفسهم من خلال استخدام مختلف الوسائل، بما في ذلك الرسوم الجدارية.

فقد لعبت الرسوم الجدارية دورًا مهمًا في نشر المسيحية، وتعزيز القيم الدينية في الواحات المصرية، ساهمت هذه الرسوم في إعادة الثقة بالنفس لدى السكان، وشجّعتهم على الصمود فى وجه الشدائد والتمسك بإيمانهم.

ويُعدّ موضوع فلك نوح من أهم الموضوعات التي تناولتها الرسوم الجدارية في الواحات المصرية. يُجسّد هذا الموضوع رحلة الخلاص من اليأس إلى الأمل، من خلال قصة نبي صبر على إيمانه واتّبع أوامر الله، فنجا هو ومن معه من الطوفان. تُمثّل هذه القصة نموذجًا يُحتذى به للصبر والإيمان والثقة في الله، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي واجهها سكان الواحات. من هنا رأينا أنه موضوع يستحق إفراده بالدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: الواحات، المسيحية، الصور الجدارية، مزار السلام، فلك نوح، البجوات.

Abstract:

The inhabitants of the Egyptian oases suffered under the harsh rule of the Romans and Byzantines, who turned them into slaves, leading to the deterioration of their psychological and religious state. The Christian Church sought to revive their faith and self-confidence through the use of various means, including wall paintings.

Wall paintings played a significant role in spreading Christianity and promoting religious values in the Egyptian oases. These paintings contributed to restoring self-confidence among the inhabitants and encouraged them to stand up to adversity and adhere to their faith.

Noah's Ark is one of the most important themes addressed in the wall paintings in the Egyptian oases. This theme embodies the journey from despair to hope, through the story of a prophet who endured in his faith and followed God's commands, so he and those with him were saved from the flood. This story represents a model to be emulated for patience, faith, and trust in God, especially in the face of the difficult circumstances faced by the inhabitants of the oases. Hence, We saw that it is a topic that deserves to be singled out for study and analysis.

Keywords: Oases, Christianity, Wall paintings, Peace Shrine, Noah's Ark, Al-Bagawat

(*) مفتش آثار بوزارة السياحة والآثار essamadm658@gmail.com

المقدمة

تهدف دراسة موضوع "فلك نوح بمزار السلام ومردوده العقدي والنفسي على مجتمع الواحات خلال الفترة من القرن الخامس إلى السابع الميلادي" إلى إبراز الدور النفسي والعقدي الذى لعبه هذا الموضوع وما شابهه من موضوعات أخرى فى نفوس مجتمع الواحات خلال الفترة محل الدراسة، كما تهدف إلى إبراز دور القديسين والفنون التى كانوا يرعونها فى تغيير أوضاع المجتمع، من الانحطاط النفسي والعقدي إلى أعلى مراتب النضج والرقي فى ذاك الزمان.

وتكمن أهمية الموضوع فى توجيه أنظار المصلحين فى كل زمان ومكان، إلى مجموعة من الأساليب السهلة والبسيطة، والتى من خلالها يستطيعون إيصال أفكارهم وعرض أطروحاتهم الإصلاحية، بنوع من الإقناع المبني على الصدق واليقين، وصلاحية تلك المناهج الفكرية والمذاهب العقدية لتقويم ما اعوج، وإصلاح ما فسد على مر الزمان وفى كل مكان.

من المشكلات التى اعترضت الدراسة عدم وجود سابق لها فى بابها، أو فى أسلوب الطرح والعرض الذى انتهجه الباحث، وفى الحقيقة؛ إذا كان هذا الأمر يمثل مشكلة إلا إنه يضفى على الدراسة طابع الجدية والأصالة.

وتطرح الدراسة مجموعة من التساؤلات التى تسعى للإجابة عنها من خلال إجراءات إعدادها، منها:

-كيف ساس الرومان والبيزنطيون مجتمع الواحات؟

-هل كان لتعدد المذاهب المسيحية على أرض الواحات تداعيات على المجتمع وأهله؟

-هل وفق الفنان والقديسون بالواحات فى اختيار موضوع فلك نوح؟ وهل حققوا المطلوب من وراء هذا الاختيار؟

وتفترض الدراسة أن الرومان والبيزنطيين رغم اهتمامهم الكبير بالواحات، إلا أن أهلها عوملوا معاملة قاسية، كما أنهم كان لهم موقف صارم من رجال الدين المصريين، الذين كانوا يمثلون القيادة المنظمة والوحيدة للأهالى. كما تفترض أن مجتمع الواحات سار خلف الكنيسة القبطية الوطنية، وتبنى مذهبها ورجالها عن قناعة تامة، وبالتالى جاءت الموضوعات المصورة لتؤكد على ذلك، سواءً فى عناصرها أو أسلوبها، أو حتى الأهداف التى ترمى إليها.

وقد جرى العمل بالموضوع وفق العناصر التالية:

١- أحوال مجتمع الواحات خلال العصرين الروماني والبيزنطي.

٢- إشكالية تعدد المذاهب المسيحية فى مجتمع الواحات واحتدام الصراع بينها.

٣- الوصف المعماري والرسوم الجدارية بمزار السلام بجبانة البجوات.

٤- دراسة وصفية لمنظر فلك نوح بمزار السلام.

٥- قراءة تحليلية لمنظر فلك نوح بمزار السلام وكيفية استغلاله عقديًا ونفسيًا على مجتمع الواحات.

٦- الأسلوب الفني ودوره في إبراز الفكرة وإيصالها من خلال موضوع فلك نوح.

٧- الخاتمة.

١-أحوال مجتمع الواحات خلال العصرين الروماني والبيزنطي: أبدى الرومان اهتمامًا كبيرًا بالواحات، نظرًا لدورها بالنسبة لطرق التجارة بين مصر وجنوب وادى النيل وشمال إفريقيا، الأمر الذى أدى إلى الاهتمام بحماية طرق الواحات وبخاصة طريق درب الأربعين[١]، وأدى استتباب الأمن إلى ازدهار التجارة واستصلاح الأراضى المهملة وحفر عيون جديدة للمياه[٢]؛ وليس معنى ذلك أن مجتمع الواحات المصري الأصيل كان فى رغد من العيش، بل على النقيض؛ فقد عومل معاملة قاسية، ومرد ذلك إلى الصورة التى طبعت فى أذهان الرومان عن مصر عامة وواحاتها خاصة، من أنها أرض تتزايد فيها الثروة تزايدًا خرافيًا[٣]، حتى أن الإمبرطور أغسطس[٤] ذكر من جملة أعماله المجيدة التى امتن بها على الشعب الروماني قوله: "قد وضعت مصر تحت سلطان الشعب الروماني"[٥].

ومن هنا صار الهدف الأكبر الذى وضعه الرومان نصب أعينهم، تحقيق أكبر عائد ممكن من دخل مصر، وللأسف كان ذلك كله على كاهل المصريين، لقد صاروا أفقر فئات السكان وأكثرها أعباء، فإلى جانب أعمال السخرة التى كانوا يقومون بها، كانت تفرض عليهم شتى أنواع الضرائب[٦]، مما أفقدهم الثقة فى أنفسهم، وأنساهم معالم الحياة الآمنة الكريمة، ليحل اليأس والخور والذل والمهانة محلهما.

---

[١] نور الدين، عبد الحليم، مواقع الآثار اليونانية والرومانية فى مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م، ٩٨.

ويعد طريق درب الأربعين أقدم الطرق داخل الصحراء الغربية، بدأ استخدامه منذ أيام الفراعنة، وكانت تقاس أيام الرحاء في وادي النيل بمدى اهتمام الحاكم بتأمين السير بدرب الأربعين، وكان يطلق عليه الطريق الليبي أو طريق غرب النيل أو الطريق المصري. كان هذا الطريق يتجه من أسيوط نحو الجنوب عابرًا واحات الخارجة وباريس، ويمر بالشب وسليمة والأطرون حتى يصل إلى دارفور وكبية غير بعيد من الفاشر، وقد اختير هذا المسار الطويل في ذلك العهد مفضلًا على غيره لكونه مأمون جدًا؛ تيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، ط.١، مصراته: الدار الجماهيرية، ليبيا، ٢٠٠٤م، ٥١٨.

[٢] مسعود، محمود محمد، أشهر العمائر الدينية والجنائزية بواحتي الداخلة والخارجة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٤م، ٣٥.

[٣] لويس، نافتالى، الحياة فى مصر فى العصر الروماني (٣٠ ق.م- ٢٨٤م)، ترجمة آمال الروبي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م، ٣٩.

[٤] تولى الحكم عام ٤٤ ق.م واستطاع تشتيت جميع أعداءه، وأعلن الحرب على أنطوان عام ٣١ ق.م، وعلى إثرها دخلت مصر تحت حكم الرومان، ومات عام ١٤م، فكانت مدة حكمه ٤٣ سنة غير رياسة الجمهورية، وفى عصره وفد على مصر الجغرافي استرابون اليوناني الذى وصفها وصفًا عجيبًا؛ واصف، أمين ومحمود، عبد العزيز،إتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م، ١١١- ١١٤.

[٥] إدريس بل، هارولد، الهيلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة زكي على، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨م، ٨٧.

[٦] الشرقاوي، باسم سمير، تاريخ مصر القديم من الإسكندر الأكبر (٣٣٢ ق.م) إلى عمرو بن العاص (٦٤٢م)، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٣م، ٢٠٤.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل إمعانًا فى إضعاف المجتمع وإذلاله، رأى الرومان أنه لابد وأن يكون لهم موقف صارم من رجال الدين المصريين، الذين كانوا يمثلون القيادة المنظمة الوحيدة للأهالى، فعمدوا إلى تجريد الزعامة الدينية من الأساس المادي لسطوتها، فاستولوا على الجانب الأكبر من أراضى المعابد، ونقلوها إلى ملكية الدولة، واعتبروها جزءً من أراضى الإمبراطور، ولم يسمح للكهنة إلا بزراعة جزء من الأراضى يكفى بالكاد لسد حاجة المعبد[٧].

وعلى كل حال فقصة مصر الرومانية سجل أليم للاستغلال المنطوى على قصر النظر، والذى كان مصيره المحتوم خراب اقتصادي واجتماعي[٨]، وخسارة فادحة جسيمة لمجتمع الواحات على وجه الخصوص.

أضف إلى ذلك أن اعتقاد المصريين فى البعث بعد الموت، ومعاناتهم من ظلم الرومان سهل لهم اعتناق المسيحية، إذ رأوها تبشر بحياة أفضل من الوثنية الرومانية، وأنوه هنا إلى أمر مهم للغاية، وهو أن المسيحية دخلت إلى الواحات منذ زمن مبكر جدًا، فقد ذكر فى السنكسار القبطي فى اليوم الأول من شهر توت عن القديس برثلماوس[٩] أحد الاثنا عشر تلميذًا كيف أن القرعة وقعت عليه أن يمضي ليبشر أهل مدن الواحات، وهذا يعنى أن المسيحية دخلت الواحات منذ القرن الأول الميلادي، بل ربما يكون دخولها الواحات سبق بعض المدن المصرية الأخرى[١٠].

ومعنى ذلك أن أهل الواحة اجتمعت عليهم كل الأسباب التى من شأنها أن تؤلب الحكام عليهم، سواءً الرومان، أو البيزنطيين من بعدهم، وكانت تتمة تلك الأسباب -كما ذكرت سابقًا- ظهور المسيحية واعتناقها، الأمر الذى أدى إلى حركة اضطهاد عنيفة بدأت خلال العصر الروماني، واستمرت خلال العصر البيزنطي مع اختلاف دوافعها[١١]، خلفت آثارًا نفسية شديدة الوقع على مجتمع الواحات، ولعل ذلك يتجلى فى كم الجثث المحروقة التى تم العثور عليها فى أكثر من

---

[٧] الشرقاوي، تاريخ مصر القديم، ١٥٣.

[٨] الرافعي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٠م، ١٩٧.

[٩] هو أحد التلاميذ الإثني عشر. هذا الرسول كانت قرعته أن يذهب إلى الواحات فمضى هناك وبشَّر أهلها ودعاهم إلى معرفة الله، بعد أن أظهر لهم من الآيات والعجائب الباهرة ما أذهل عقولهم، وحدث أن مات ابن شيخ البلد فأقامه الرسول من بين الأموات، فآمنوا كلهم وثبتهم على معرفة الله. ثم أمره السيد المسيح له المجد أن يمضي إلى بلاد البربر، وسيَّر إليه أندراوس تلميذه لمساعدته، وكان أهل تلك المدينة أشرارًا فلم يقبلوا منهما آية ولا أعجوبة، ولم يزالا في تبشيرهم وتعليمهم حتى قبلوا القول وأطاعوا ودخلوا في دين المسيح، فأقاما لهم كهنة وبنيا لهم كنائس ثم انصرفا من عندهم؛ الجميل، بطرس، السنكسار، ١ أبيب.

[١٠] الأورشليمي، يسطس، الرهبنة القبطية وآثارها الدينية فى الواحات المصرية، الطبعة الأولى، مطبعة آي برنت، الجيزة، ٢٠١٧م، ٢٦-٢٧.

[١١] بعض الاضطهادات كان مردها إلى الخلاف بين دين الإمبراطورية الوثني والدين المسيحي، وبعضها الآخر كان مرده إلى الخلافات المذهبية فى الديانة المسيحية، فبالرغم من اعتناق أباطرة الرومان للمسيحية، فقد استمر الاضطهاد للمذاهب المسيحية فى مصر عدا مذهب الحكومة، لقد تمسك المسيحيون الأقباط بمذهبهم المناهض لمذهب الأباطرة، فكان من شأن ذلك أن أسبغ على الحركة المسيحية فى مصر طابعًا قوميًا، وأصبح رجال الكنيسة زعماء المصريين فى الحركة الروحية والوطنية معًا، وجاء مسلك أباطرة الرومان مظهرًا من مظاهر التعصب الديني، وجاء دليلًا على أن اعتناقهم المسيحية لم يكن له أثر فى حملهم على التسامح الديني، حتى مع شركائهم فى أصل العقيدة؛ الرافعي، تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة، ٢٠٣.

موقع من مواقع الحفائر بالواحات، ومنها ما عثر عليه بجبانة البجوات ومنطقة عين الخراب بواحة الخارجة، وما عثر عليه فى واحة باريس.

لقد أضفى اعتناق أهل الواحات للمسيحية صفة التآمر إليهم، وصارت النظرة العامة من الحكام للمسيحيين آنذاك، هي النظرة إلى شخص متمرد ومتآمر ضد التقاليد المتوارثة التى تفضى باحترام المعبودات الوثنية وشخص الإمبراطور المهيب والمؤله، والمسيحي من هذا المنطلق يصبح أشبه ما يكون بالطفيلي الذى ينبغى قصفه فى المهد كما تقصف النبتة الخبيثة فى مهدها قبل أن تورق وتترعرع[١٢]. لم يكتفى الحكام بتلك النظرة، بل أتبعوها بنظرة أكثر تشاؤم، إذ كانوا ينظرون إلى ما حل بالبلاد من مجاعات وأوبئة على أنه نتيجة للشؤم الذى جلبته المسيحية على البلاد عند دخولها، مما يستوجب أنكى عقاب[١٣].

ولعل أفضل ما يجسد حال أهل الواحات خلال تلك الفترة، ما ذكره المقريزي عن أفعال دقلديانوس، فقد أخبر أنه: "أوقع بهم فاستباح دماءهم، وعذب رجالهم، وأسرف فى قتلهم، وطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل، وغلق كنائسهم وأحرقها، وحمل الناس على عبادة الأصنام، يريد بذلك قطع أثرهم، وإبطال دينهم"[١٤].

٢-إشكالية تعدد المذاهب المسيحية فى مجتمع الواحات واحتدام الصراع بينها: أدت الإجراءات التى اتخذها قسطنطين[١٥] من جعل المسيحية عقيدة للدولة البيزنطية، إلى صيرورة الكنيسة فرعًا من فروع الدولة البيزنطية، مما أدى إلى كثرة الزج باسم الإمبراطور وشخصه فى حلبة المخاصمات والكفاحات، ووصل الأمر فى النهاية إلى صراع حاد بين مختلف الطوائف والمذاهب المسيحية[١٦]، واختلطت أمور السياسة بالدين، وأمور الدين بما يختلج النفس

---

[١٢] ومن أوضح الأمثلة على ذلك، ما عثرنا عليه أثناء عملنا بحفائر منطقة عين الخراب بواحة الخارجة، حيث تم العثور على مجموعة من الجثث المحترقة، من ضمنها جثة امرأة حرقت وطفلها فى حضنها؛ وزارة السياحة والآثار، تقرير حفائر بعثة الآثار المصرية العاملة بموقع عين الخراب بمنطقة آثار الخارجة، موسم ٢٠٢٤م.

[١٣] الشرقاوي، تاريخ مصر القديم، ٢٩٠.

[١٤] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ٢٦٢.

[١٥] عاش أكثر من ستين عامًا وملك أكثر من ثلاثين عامًا،وهو أحد أبرز الشخصيات التى لعبت دورًا رئيسيًا في الكنيسة، فبعد أن تأمل في سقوط عابدى الأصنام اختار المسيحية ديانة له، فأكرم الأساقفة وبنى الكنائس؛ القيصري، يوسابيوس، حياة قسطنطين العظيم، ترجمة مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧٥، ٣١.

[١٦] وبسبب ذلك انقسم المجتمع البيزنطي زمن هرقل إلى مجموعة مؤيدة لمذهب الطبيعة الواحدة وهم سكان بلاد الشام ومصر، ومجموعة رفضت ذلك وأيدت مذهب الطبيعتين وهؤلاء سكان القسطنطينية، وكان على الإمبراطور ضرورة التعامل مع هذه الانقسامات المذهبية من الناحية السياسية والدينية، وقد أتيحت له فرصة الظهور بمظهر رجل الدين الحامى للمسيحية وأتباعها، وذلك عقب نشوب الحرب مع الإمبراطورية الفارسية التى أسفرت عن تحطيم الضريح المقدس –كنيسة القيامة– ببيت المقدس، وسلب أغلى رمز ديني مسيحي وهو الصليب المقدس الذى حمل إلى بلاد فارس، ويرجع وقوع هذه الكارثة الكبيرة التى حلت بالإمبراطورية إلى عدم مقاومة سكان تلك المناطق وبخاصة سوريا وفلسطين للجيش الفارسي، وذلك لمخالفة السكان بتلك المناطق لمذهب القسطنطينية، ونفس الأمر حدث فى مصر التى كانت تدين بالمذهب المونوفيزي المخالف لمذهب القسطنطينية، وهذا الأمر يعطى مؤشرًا على تلك الممارسات التعسفية التى كانت تقوم بها الحكومات البيزنطية المتعاقبة ضد المخالفين لمذهب الكنيسة الرسمي. وأمام هذه الأحداث وشدة وطأتها والرعب والغضب الذى أثارهما ضياع الصليب المقدس، ظهر الشعور الوطني والحماس الديني لدى سكان القسطنطينية، وقامت الكنيسة بمنح هرقل ما تملكه من كنوز الذهب والفضة، فطغى على الحرب جو الحماس الديني الجديد فى نوعه فى العصور الوسطى، إذ لم يكن ذلك مألوفًا قبل هرقل. للاستزادة راجع؛

VASILIEV, *History of the byzantine Empire 324-1453*, Madison, ed.2, 1952, 195-196.

البشرية من تعصب وشهوة السلطة وحب الرئاسة[١٧]، فنجد روما تحاول إبراز سلطانها على القسطنطينية، بينما تحاول الإسكندرية أن تثبت على الدوام أنها وعاء الأرثوذكسية الأوحد[١٨].

وفى خضم هذا الموج المتلاطم من الفتن والصراعات، انعكست التحولات والنوازل الحاصلة فى العالم آنذاك على المسيحيين الأقباط فى الواحات مفهومًا ووجودًا، ففى ظل التصارع الرهيب للمرجعيات الثقافية والدينية، ونتيجة للأحداث والنزاعات الظاهرة عبر الحروب والأزمات الاجتماعية والاقتصادية، حدثت تحولات انعكست سلبًا على جملة القيم والمعتقدات المصاحبة للأفراد داخل المجتمع. فقد أدت الأحداث السابقة إلى نفي كثير من أصحاب المذاهب المختلفة ممن كان لهم تأثير كبير فى مجتمعاتهم إلى الواحات، من أمثال نسطورس[١٩] وأثناسيوس[٢٠]، مما جعل من أرض الواحات ساحة للصراعات الفكرية بين مختلف المذاهب، وهنا تتحدد الإشكالية المتمثلة فيمن سيتبعه المجتمع، ويسير فى ركابه وخلف أفكاره الدينية؟؟

---

[١٧] بعد اعتراف الدولة بالمسيحية عمد كبار البطاركة لبسط نفوذهم والمطالبة بأسبقية بطريركياتهم على غيرها، وتبدو هذه الظاهرة فى حالة بطريركية كل من القسطنطينية وروما، ورغم إمكانية التغلب على هذه المشكلة، إلا أن تمسك أساقفة روما بنزعة السيادة والسلطان على كل الكنيسة الجامعة، رغبة منهم فى أن يستعيضوا عن فقد مكانة روما المدنية بعد انتقال الملك إلى القسطنطينية، حال دون ذلك. ولا يستطيع التاريخ أن يغفر لأساقفة روما هذه النزعة التى أنتجت انشقاق الكنيسة؛ آدم، عصام أحمد، صحراوات مصر دورها فى حفظ وتطور فكر الأقباط خلال الفترة من القرن الأول إلى السابع الميلادي- دراسة حضارية أثارية فنية، حولية الاتحاد العام للأثاريين العرب، مج ٢٦، ع ٢٦، ٢٠٢٣م، ٣٥٧.

[١٨] رنسيمان، *الحضارة البيزنطية*، ١٢٥. تجلت آثار ذلك بوضوح فى المجمع المسكوني الثالث الذى عقد بمدينة إفسوس عام ٤٣١م، ففى الوقت الذى كان فيه أكثر المشاركين تحركهم المصالح الشخصية والأهواء، نجد الأسقف المصري كيرلس السكندري يقدم إلى مدينة المجمع فى موكب مهيب، يحف به جمع من أساقفة الإسكندرية والإكليروس المصري، وجموع من الرهبان بلغ عددهم حوالي خمسين راهبًا. وقد كان هذا الأسقف معروفًا بحماسته وغيرته على الأرثوذكسية المصرية، لا يعرف الرحمة مع خصومه، لهذا نجده يحظى بطاعة عمياء من جانب آلاف الرهبان، حتى كان البعض يراه ملكًا غير متوج. بل إننا نجد أن التيار الرهباني الذى نأى بنفسه عن الحروب الفكرية، تواصل رهبانه مع رجال الكنيسة فى الإسكندرية، وجعلوا من أنفسهم ظهيرًا لآبائها فى مواجهة السلطة البيزنطية والفرق العقيدية المخالفة للإيمان السكندري، ليصير بذلك الفكر والإيمان مرتبطين بالهوية المصرية الخالصة؛ آدم، "صحراوات مصر"، ٣٦٠-٣٦١.

[١٩] وُلد نسطور في سوريا بمدينة مرعش وتربى في إنطاكية وهناك ترهّب بدير أيروبيوس، وقد تتلمذ على يدي ثيودوروس الميصي. اختير بعدما تم تعليمه ليكون شماسًا ثم قسًا في كاتدرائية إنطاكية، واشتهر بفصاحته وقوة عظاته.اختاره الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير ليكون بطريركًا للقسطنطينية، وعند ارتقائه لهذا المنصب الرفيع لم يحتمل عظمة المكانة الذي اختير لها، فسلك بالكبرياء والعظمة وأُعجب بذاته، كان نسطور قبل جلوسه على كرسي القسطنطينية مملوء غيرة في الدفاع عن الإيمان المستقيم ضد الهراطقة، ولكنه للأسف تحول سريعًا وسقط في بدعته الشنيعة، وقد كان سقوطه عظيمًا، حتى قال عنه أحد المؤرخين: "إن نسطور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل لهرطقته". وإذا كان جوهر الإيمان المسيحي هو أن "المسيح هو ابن الله الحي" (أقنوم الكلمة الإلهي)، فإن نسطور نادي بأن المسيح شخص آخر، حلّ فيه أقنوم الكلمة، عندئذ قرّر الإمبراطور نفي نسطور إلى ديره الأول أيروبيوس الذي نشأ فيه، ثم أمر بإحراق جميع مؤلفاته ونفيه إلى بلاد العرب ثم أخميم، التي كانت عاصمة للإقليم التاسع من أقاليم جنوب مصر الـ٢٢، وأخذوا يطوفون به بين أرجاء هذا الإقليم، ومنه الواحات، حيث كان المسيحيون هناك شديدي التمسك بإيمانهم ولا يُخشى عليهم من وجوده مقيمًا بينهم، وظل مقيمًا هناك حتى مات منبوذًا مكروهًا من الجميع، ودُفن في أخميم سنة ٤٥٠ م. وقد اعتاد أقباط أخميم أن يرجموا قبره بالحجارة، ويلقوا عليه القمامة والتراب حتى تكوَّن من ذلك كوم أو تل نسطور في النصف البحري الشرقي للمدينة؛ ملطي، تادرس يعقوب، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية، حرف (ن).

[٢٠] ولد أثناسيوس بين عامي ٢٩٥-٢٩٦م، وعاش وتربى طيلة فترة صباه في صعيد مصر في مدينة أخميم، وهو من أبرز أساقفة الكنيسة الجامعة على مدى تاريخها كله، اتصف بروحه الوثابة، وحكمته الرسولية، وعمقه الروحاني الذى لا يبارى، وصبره على المحن والشدائد، وقد صارت تعاليمه وكتاباته شهادة لصحة الإيمان، وهو المدافع الأعظم عن الكنيسة الجامعة ضد الآريوسية وغيرها من المذاهب الأخرى؛ المسكين، متى، القديس أثناسيوس الرسول البابا العشرون، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادى النطرون، د.ت، ٤٠.

وفى الحين تبرز الروح الوطنية التى كانت بمثابة القول الفصل فى كثير من المواقف العصيبة[٢١]، ونستطيع أن نتلمس ذلك في اتباع مجتمع الواحات المصري الأصيل لرجال الدين من أتباع المذهب الأرثوذكسي القبطي الذى تبنته الكنيسة المصرية، وذلك في الوقت الذى خضع فيه الشعب قهرًا للسلطة الرومانية الغاشمة.

وأوضح نموذج لذلك؛ القديس أثناسيوس الرسولي القبطي. كان أثناسيوس ذا تأثير روحي وديني كبير، لقد عانى خصومة عنيفة من عدو قوي، لبق وحاذق وذكي هو آريوس[٢٢]. كان آريوس فصيحًا وبليغًا، كما كان مراوغًا وماكرًا، نزل بالقضية اللاهوتية إلى الشارع وصار يبسطها لعامة الناس وللنساء والأطفال، فأتلفها وأفسدها، وشوه الرأي الأرثوذكسي[٢٣] بصورة جعلته يبدو للأكثرية من الناس مستحيلًا لا يقبله العقل ولا يستسيغه المنطق. ليس هذا فحسب؛ بل إن اليهود كان لهم أثرهم الكبير في توجيه الأحداث وتفسيرها، وقد عملوا في سبيل ذلك على تسفيه الفكر الأثناسيوسي، وتصويره بأنه تفكير منحرف ضال يتعارض مع التوحيد. أضف إلى ذلك معاناة أخرى أشد وأنكى تمثلت في الدولة البيزنطية التى كانت عاملًا مهمًا في زيادة متاعب أثناسيوس، فقد انقلب الإمبراطور قسطنطين الأول من صديق لأثناسيوس ومعجب به وبسلامة إيمانه وقوة حجته حتى دعاه "بطل كنيسة الله"، إلى كاره له وحاقد عليه ومقاوم له[٢٤].

---

[٢١] تجلت آثار ذلك بوضوح فى المجمع المسكوني الثالث الذى عقد بمدينة إفسوس عام ٤٣١م، ففى الوقت الذى كان فيه أكثر المشاركين تحركهم المصالح الشخصية والأهواء، نجد الأسقف المصري كيرلس السكندري يقدم إلى مدينة المجمع فى موكب مهيب، يحف به جمع من أساقفة الإسكندرية والإكليروس المصري، وجموع من الرهبان بلغ عددهم حوالي خمسين راهبًا. وقد كان هذا الأسقف معروفًا بحماسته وغيرته على الأرثوذكسية المصرية، لا يعرف الرحمة مع خصومه، لهذا نجده يحظى بطاعة عمياء من جانب آلاف الرهبان، حتى كان البعض يراه ملكًا غير متوج. بل إننا نجد أن التيار الرهباني الذى نأى بنفسه عن الحروب الفكرية، تواصل رهبانه مع رجال الكنيسة فى الإسكندرية، وجعلوا من أنفسهم ظهيرًا لآبائها فى مواجهة السلطة البيزنطية والفرق العقيدية المخالفة للإيمان السكندري، ليصير بذلك الفكر والإيمان مرتبطين بالهوية المصرية الخالصة؛ ؛ آدم، عصام أحمد، "صحراوات مصر"، ٣٦٠- ٣٦١.

[٢٢] آريوس ليبي المولد والمنشأ، أمَّ الإسكندرية وتعلم فيها، وكان فيما يظهر عالمًا زاهدًا متقشفًا، يجيد الوعظ والإرشاد، فالتف حوله عدد من المؤمنين، ولا سيما عذارى الإسكندرية اللواتي نذرن أنفسهن للعمل الصالح، فأصبحن فخر كنيسة مصر، وانضم إلى هؤلاء عدد كبير من رجال الإكليروس، الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس، فآثروا الإصغاء إليه على الرغم من التخالف في التعليم بينه وبين الأسقف رئيس الكنيسة، وجلُّ ما يجوز قوله عن مذهب آريوس أنه كان فيما يظهر محاولة جديدة لتأكيد وحدانية الآب وتخفيض منزلة الابن والروح القدس Subordinationisme، فالآب وحده في نظر آريوس استحق لقب الإله، أما الابن فإنه لم يكن سوى إله ثانوي منخفض في الرتبة والمنزلة، مخلوق من العدم بإرادة الآب؛ بيد أنه تميَّزَ عن سائر المخلوقات في أنه كان صورة لله الآب في جوهره Ousia وإرادته وقدرته ومجده، والثالوث في نظر آريوس ثلاثة في الأقنوم، ولكنهم ليسوا واحدًا إلا باتفاق المشيئات؛ رستم، أسد، *كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (١٣٤م- ٦٣٤م)*، جـ.١ ، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١م، ٢٢٠.

BARDY, G., *Origines de l'Arianisme, Fliche et Martin*, op. cit., III, 72-73.

[٢٣] الأرثوذكسية تأتى من اللفظة "أرثوذكس" بمعنى الرأي المستقيم، لذلك لا تعتبر الأرثوذكسية طائفة مثل بقية الطوائف، ولكنها صفة الاستقامة لمسيحية جماعة أو فرد؛ مكاريوس، الأنبا، *تعرف على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، ط.٢، مصر: مطبعة النوبار بالعبور، ٢٠١٠م، ٢٥.

[٢٤] غريغوريوس، الأنبا، القديس البابا أثناسيوس الرسولي حامى الإيمان، مصر: مكتبة الأنبا غريغوريوس بدير الأنبا رويس بالعباسية، ٢٠٠٤م، ٢٦، ٢٧.

ورغم هذا كله ظل أثناسيوس صلدًا قويًا، لا لشيء إلا لأنه عرف بالوطنية والإقناع والتأثير الشديد على مجتمع الواحات، فكانت أقواله وكتاباته ليست مجرد أبحاث لاهوتية؛ وإنما فرصة لتأملات روحانية متصوفة تدل على عمق وعلى التهاب قلبه بالمحبة الإلهية[٢٥].

استطاع القديس أثناسيوس الرسولي أن يتحف العالم وهو في منفاه بالواحات بعلم لدني[٢٦] تبنته الكنيسة باعتباره التعبير الوحيد الصادق عن إيمانها، وأنه مع مرور الوقت لم يتغير رأي الكنيسة في التعليم والتعاليم التى وطد أركانها وأقام دعائمها، حتى أن البعض يرى أن علمه هذا تجسيدًا لتعاليم المسيح والكنيسة[٢٧].

ما سبق يبين لنا أن مجتمع الواحات سار خلف الكنيسة القبطية الوطنية، وتبنى مذهبها ورجالها عن قناعة تامة، وبالتالى جاءت الموضوعات المصورة لتؤكد على ذلك، سواءً في عناصرها أو أسلوبها، أو حتى الأهداف التى ترمى إليها.

٣-الوصف المعماري والرسوم الجدارية[٢٨] بمزار السلام[٢٩] بجبانة البجوات[٣٠]: مزار السلام بناء مربع صغير الحجم طول ضلعه ٣,٨٠مترًا (مسقط-١)، واجهته الرئيسية في الجهة الجنوبية تتوسطها فتحة باب مستطيلة الشكل، يزينها من أعلى عقد يرتكز على عمودين

[٢٥] غريغوريوس، القديس البابا أثناسيوس الرسولي حامى الإيمان، ٢٨.

[٢٦] يرى المسيحيون أن أثناسيوس أعظم من فيلسوف وأعظم من مفكر، يرون أنه من طراز الأنبياء والرسل الذين لم يكونوا إلا بوقًا صالحًا في يد الكلمة، نفخ فيهم بروحه القدوس فنطقوا بما نطقوا به بإلهام الروح القدس، ولم يعوقوا الروح القدس ببشريتهم، فجاء الوحي على أفواههم صافيًا من كل دخل، خاليًا من كل شغب، معصومًا من كل خطأ، إن عصمته عندهم كعصمة الأنبياء والرسل ليست منهم. إنها من الله، وكانوا هم في يديه آنية للكرامة لا آنية للهوان؛ أنظر الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس إلى رومية، إصحاح ٩، آية ٢١.

[٢٧] غريغوريوس، القديس البابا أثناسيوس الرسولي حامى الإيمان، ٢١.

[٢٨] يطلق على التصوير الجدارى المصطلح الفنى(mural.painting) ويقصد به التصوير الذى يطبق على الجدران والسقوف بأى وسيلة، وترجع أقدم الرسوم الجدارية المسيحية فى مصر إلى القرن الرابع الميلادى، وعثر عليها فى مقابر كرموز بالإسكندرية، وهى وإن ضاعت معالمها تتفق من خلال ما تم نقله من اسكتشات مع ما عثر عليه فى المقابر الصخرية بروما من ناحية الموضوعات المصورة وارتباطها بالفن الهلينستى من ناحية الشكل، وتمدنا مزارات جبانة البجوات بالواحة الخارجة بنماذج باقية لفن التصوير على الجدران من العصر المسيحى المبكر. وتتجلى أهمية فن الرسم الجداري فيما أرساه هذا الفن من تقاليد فنية سار على منوالها فنانو العصور المسيحية التالية فقد حمل هذا الفن الملامح الأولى للفنون المسيحية فى عصورها ومواقعها المختلفة، ويظهر ذلك فيما قدمه من أشكال أولى للمسيح والعذراء والرسل والشهداء وغيرهم، وما قدمه من مناظر وتكوينات لموضوعات العهدين القديم والجديد، كما تظهر أهمية هذا الفن فيما تضفيه تصاوير هذا العصر إلى معلوماتنا عن مدى فهم المسيحيين فى تلك الفترة للعقيدة الجديدة ومدى ارتباطها بمجتمعهم رغم اختلافهم عقائدياً معه؛ آدم، عصام أحمد، الرسوم والتصاوير الجدارية بكنائس وأديرة البحر الأحمر، الطبعة الأولى، دار أوراق، القاهرة، ٢٠٢١م، ١٥-١٦.

[٢٩] مزار السلام هو إحدى مبانى جبانة البجوات بواحة الخارجة، يقع فى الجهة الجنوبية الغربية من الجبانة، وعرف بمزار السلام وفقًا لتسمية العلامة أحمد فخرى له بذلك، حيث تشتمل قبته على رسم يمثل موضوع السلام، ولفظ مزار هو لفظ حديث أطلقه العلامة فخري على مبانى الجبانة لأنها أصبحت مزارات يزورها الناس، ويطلق البعض على تلك المبانى لفظ كنيسة كقول كنيسة السلام وكنيسة الخروج، وهذا غير صحيح، لأن المبنى الكنسي له تخطيط محدد، كما أنه يشتمل على كثير من العناصر المعمارية المتعلقة بأداء الشعائر الطقسية داخله، والصواب أن يطلق على تلك المبانى لفظ قبة، فنقول قبة السلام وقبة الخروج وهكذا، لأن مبانى تلك الجبانة مغطاة بالكامل بقباب، باستثناء بعض الأجزاء مغطاة بأقبية، وبالتالى فهي تمثل العنصر الأهم الذى يمكن أن ننسب إليه، وهذا الرأي أتبناه وأستاذنا محسن منصور عبد الملاك الباحث فى التراث القبطي بالواحات.

[٣٠] تقع تلك الجبانة شمال واحة الخارجة على الحافة الجنوبية الغربية من مرتفعات جبل الطير، وهي أكبر الجبانات المسيحية التى تبدو فيها مزارات القبور في حالة جيدة من الحفظ ، استخدم الموقع الحالى لجبانة البجوات قبل دخول المسيحية إلى الواحات، إذ أنها كانت أرض الدفن الرئيسية لمدينة الخارجة خلال قرون عديدة، وعندما انتشر الدين الجديد بين الناس لم يبحثوا عن موقع آخر؛ بل استمروا يدفنون موتاهم في نفس الجبانة منذ منتصف القرن الثانى الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي . وتشتمل هذه الجبانة على عدد ٢٦٣ مزار، قسمها العلامة أحمد فخرى إلى عشرة أنماط متباينة؛ فخري، أحمد، الصحراء المصرية- جبانة البجوات فى الواحة الخارجة، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، مصر: سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية- مشروع المائة كتاب، ١٩٥٠م، ٤٣-٤٩.

مدمجين بالجدار، وعلى جانبيها دخلتان مثلثتان (لوحة-١)، على الجدران الداخلية للمزار أربعة عقود مدمجة بواقع عقد على كل جدار، بين أرجل كل عقدين مثلث كروي (لوحة-٢)، بواقع أربعة مثلثات كروية في الأركان، تحول المربع إلى مثمن لتشييد القبة وحملها.

نفذ الفنان رسومه على قبة المزار، وغيره من مزارات تلك الجبانة بأسلوب الفرسكو[٣١]، وتشتمل قبة مزار السلام على عدد من الموضوعات المستوحاة من الكتاب المقدس، بالإضافة إلى تصوير عدد من الفضائل المستلهمة أيضًا من الكتاب المقدس، وبعض القديسين. تتمثل موضوعات الكتاب المقدس فى: (الشيطان فى صورة حية يوسوس لآدم وحواء (لوحة-٣)، ذبيحة إسحاق (لوحة-٤)، دانيال في جب الأسود (لوحة-٥)، يعقوب، فلك نوح (لوحة-٦)، البشارة)، والفضائل فى: (رمز السلام، رمز العدالة، رمز الصلاة)، أما عن القديسين فهما: (بولا، تكلا)[٣٢].

٤-دراسة وصفية لمنظر فلك نوح بمزار السلام (لوحة-٦): ذكرت قصة نوح كاملة فى سفر التكوين[٣٣]، ومن هنا حاول الفنان تنفيذ القصة كما وردت بالكتاب المقدس، نفذ الفنان الفلك في هيئة مقوسة، قاعدته في الماء، وطرفاه إلى أعلى، عند كل طرف منهما عمود دائري البدن كورنثي التاج، أبيض اللون به تهشيرات متموجة حمراء اللون، ومن منتصف الفلك فى الجهة الخلفية ينتصب عمود مستطيل أبيض اللون ترتكز عليه كوة سقف الفلك، بينما يرتكز طرفاه على تاجي العمودين الكورنثيين.

[٣١] أسلوب الفرسكو أو الافريسك "fresco" هو أسلوب من أساليب التصوير على المصيص (الجص) وتنفذ الألوان عليه أحياناً وهو رطب أى قبل تفاعله الكميائى وجفافه، وأحياناً أخرى تتم الألوان عليه وهو فى حالة الجفاف التام وتستخدم لذلك ألوان مائية جيرية وهو الأسلوب الذى استخدمه الفنان المصرى القديم فى تنفيذ رسومه على جدران مقابره ومعابده، وقد صور بها القديسون على القباب والجدران وفى الأديرة. وفى بقايا الكنائس القديمة توجد أهم الفرسكات فى العصور المسيحية المبكرة مثل الهيكل القديم بالكنيسة المعلقة ودير الأنبا أرميا بسقارة، والدير الأحمر والأبيض بسوهاج وأديرة وادى النطرون والواحات الخارجه ومقابر النوبة، والقديس سمعان بأسوان وديرى الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس، وهى أعمال فنية رائعة باسلوب الفرسكو. ويتميز التصوير بالفرسكو بثبات الألوان بدرجة كبيرة جداً، بحيث لايمكن إزالتها بالماء، وفى هذا الأسلوب من التصوير يقوم الفنان بتلوين المناظر على أرضية طازجة طرية من ملاط الجير "Fresco" وبدون إستخدام أى وسيط لونى، والأساس العلمى للتصوير بأسلوب الفرسكو هو اتحاد غاز ثانى أكسيد الكربون الذى فى الجو بهيدروكسيد الكالسيوم الذى فى ملاط الجير ليكون كربونات الكالسيوم الغير قابلة للذوبان فى الماء؛ آدم، الرسوم والتصاوير الجدارية بكنائس وأديرة البحر الأحمر، ١٩.

[٣٢] أنظر؛ فخري، أحمد، الصحراء المصرية- جبانة البجوات فى الواحة الخارجة، ١٠٥-١١٥.

[٣٣] جاء الأمر هكذا: " اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. ١٥ وهكذا تصنعه: ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك، وخمسين ذراعا عرضه، وثلاثين ذراعا ارتفاعه. ١٦ وتصنع كوا للفلك، وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. ١٧ فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. ١٨ ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ١٩ ومن كل حي من كل ذي جسد، اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى. ٢٠ من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها. ٢١ وأنت، فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك، فيكون لك ولها طعاما" ٢٢ ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله. هكذا فعل؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح ٦، آيات ١٤: ٢٢.

نفذ الفنان داخل السفينة ثمانية أشخاص وهم: نوحًا وزوجته، وأبناءه الثلاث وزوجاتهم، يقفون جميعًا فى وضعية المواجهة، يرتدون ثيابًا تشبه القميص القبطي، بينما يعلو قميص نوح عباءة بيضاء، وتغطى رؤوس النساء خمر بيضاء كمثرية الشكل.

يقف الجميع وقد رفعوا أيديهم أمام صدورهم، وبسطوا أكفهم وفردوا أصابعهم لأعلى في وضعية صلاة وتضرع، وبينما نوح في الصلاة، نراه رافعًا يده اليسرى أمام صدره، ومادًا يده اليمنى خارج الفلك مستقبلًا حمامة بيضاء اللون، أوشكت أن تحط على كفه الممدود لها، وأسفل قدميها غصن زيتون متعدد الأفرع.

وإذا كان الفنان نفذ الحمامة قافلة إلى الفلك، فإنه نفذ فى موضع أعلى منها منظرًا لغراب أسود الوجه ينطلق إلى خارج الفلك، بعد أن فرد جناحيه بكل قوة، وبين خروج الغراب وقفول الحمامة قصص وعبر، نسجها القديسون لعودة المجتمع إلى رشده وإيمانه.

٥-قراءة تحليلية لمنظر فلك نوح بمزار السلام وكيفية استغلاله عقديًا ونفسيًا على مجتمع الواحات: جاء المنظر مفعم بمجموعة من الرموز، ثرية في المدلول، معبرة بوضوح عن الغرض المقصود[٣٤]، وهذا نتلمسه في كل عناصر الموضوع، وذلك على النحو التالى:

أولًا عنصر الفلك (شكل-١): المدقق للنظر يجد أن الفنان حينما نفذ منظر الفلك، أضفى عليه بعض خصائص السفن، وعناصر أخرى تبعده عن شكل السفن[٣٥]، وهذا الأمر ربما يسبب خلطًا عند كثير من غير المتخصصين، ولكن؛ بالرجوع إلى ترجمة النص الكتابي الذى استقى منه الفنان الموضوع، نجد أن المقصود بالفلك أن يكون على هيئة تابوت أو صندوق وليس على شكل سفينة[٣٦]، لذا خرج شكله كما نراه في المنظر.

---

[٣٤] الرمز هو كل ما يحل محل شيء آخر فى الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، والرمز هو آداة أو وسيلة تعبيرية تمتلك بعدًا صوريًا ذا قيمة استنتاجية، يمكن من خلالها رؤية ما يقع خارج حدود رؤية الفرد، لتحقيق وظيفة الاتصال البشري، باعتماد عدة طرق كالحدس والتخمين، بغرض إيصال معان ضمنية للأفكار العقلية والمادية، ويتطلب ذلك فهم للتفاعل بين الشكل المادي والمدلولات الجمعية. أما المدلول، فهو معنى محوري يدور حول شيء ما أو مادة ما، وذلك بالاستبانة والاستيضاح بأمارة أو علامة أخرى لفظية أو غير لفظية، والرمز يستمد قيمته أو معناه من الناس الذين يستخدمونه، أي أن المجتمع هو الذى يضفى على الرمز معناه، ومن خلال دراسة الرموز والرمزية المتعلقة بمجتمع ما، نستطيع أن نتعرف على محدداته الفكرية ونحلل محتواه الثقافي. ويمكن للرموز أن تلعب دورًا اتصاليًا خالصًا دون تصنع أو توهم، فالصورة الرمزية الواحدة يمكنها وفى آن واحد أن تومض بنسق متنوع من المعاني والدلالات والإشارات؛ وذلك لأن الأشياء لا تأخذ دلالتها إلا فى نسق وإطار عام، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نفهم الأشياء فى جوهرها وبعمق إلا بتوسط الرموز وعونها؛ آدم، عصام أحمد، رؤية جديدة لتعددية مدلول الرمز فى الفن المسيحي القبطي- دراسة فنية تحليلية تطبيقًا على نماذج مختارة، مجلة الأقصر الدولية للدراسات الأثارية، مج ٦، ع ٢، ٢٠٢٣م، ٢٦١.

[٣٥] من أهم خصائص السفن هنا، الشكل المقوس أو الهلالي على نمط السفن القديمة، والعمود الأوسط على هيئة الصارى الذى كان يحمل الشراع. أما عن العناصر التى تبعده عن شكل السفينة، ذاك الغطاء العلوي الذى يشبه غطاء التابوت.

[٣٦] فالكلمة العبرية التي تُرجمت "فلك" هي "taybaw" وهي تعني "صندوق"، وهي نفس الكلمة المستخدمة عن الصندوق الصغير الذي وُضع فيه الطفل موسى في نهر النيل. نفس هذه الكلمة مترجمة "تابوت" في تكوين ٥٠: ٢٦. لم يكن لها دفة ولا شراع، وكان له قاع مسطح ليمنحه سعة أكبر؛ ر. ل. هيمرز، فلك نوح- العظة رقم ٨١ من سفر التكوين، عظة ألقيت في الكنيسة المعمدانية بلوس أنجلوس، ١ يونيو/حزيران ٢٠١٤م، https://www.rlhymersjr.com/Online_Sermons_Arabic/2014/06014AM_NoahsArk.html

استطاع القديسون أن يستغلوا الصلة بين الفلك الخشبي وطوفان الماء، في ربط أذهان أفراد مجتمع الواحات بعقائد المسيحية، فعندهم أن مياه الطوفان اختارها الله خاصة ليكون لها معنى العالم الذى نشتهى خيره، لم يعدها الله لهلاك الإنسان ولكن لحمايته، فحول الماء المهلك إلى حياة جديدة فى المعمودية[٣٧]، وكان الفلك هو وسيلة النجاة لنوح دون غيره من الوسائل الأخرى، لأن فى الفلك يوجد اختيار من اثنين، إما داخله أو خارجه فقط، وفيه إعلان عن معنى اللجوء لهيكل معين داخله تخلص وخارجه تهلك، وعليك أن تختار بنفسك. فقط الرب يعلن ومن يقبل يخلص ومن يرفض يهلك. "بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ"[٣٨].

وهذا هو جسد المسيح عُمِّدَ في مياه نهر الأردن، وعلق على خشبة الصليب –حسب معتقدهم–، فمن يقبل ويدخل فيه يخلص، ومن يستهزئ بفكرة الدخول إلى جسد المسيح –مثل من عاينوا نوح– يهلك بخير العالم الممثل في الماء. "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ"[٣٩].

المستفاد من تلك الجزئية أن نوحًا خضع للرب وأطاعه فى كل ما أمر، فكانت النجاة المحققة له ولمن تبعه على الإيمان، من خلال تلك الأعمال التى صنعوها بأيديهم وذواتهم طاعة للرب. أوجد الله طريقا واحدا فقط للنجاة من غضبه فى أيام نوح، وكان الطريق الوحيد للنجاة من قضاء الله هو الدخول فى الفلك، واليوم هيأ الله طريقًا واحدًا للنجاة من غضبه وهو يسوع المسيح. "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ"[٤٠].

ثانيًا عائلة نوح (شكل-٢): في صعود نوح وعائلته إلى الفلك دعوة للمستضعفين من أهل الواحات أنه بصعودكم خلال أدوار الفلك المختلفة –سبيل النجاة– باتباعكم دين المسيح، تصلون إلى نوح نفسه الذى يعنى (بر) أي تصلون إلى درجة إيمان نوح ومن ثم تصلون إلى الراحة، "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"[٤١].

---

[٣٧] المعمودية تعني الموت مع المسيح ومن ثم القيامة معه، لذا تتطلب المعمودية قرارا شخصيًا من المرء للاعتراف بخطاياه، وتقديم حياته كليًا ليسوع المسيح. وتعني المعمودية بالنسبة إلى الشخص المؤمن، تفضيل الموت على اقتراف الخطيئة ثانية بصورة متعمّدة. فهي شهادة الإنسان واعترافه بضرورة التوبة، وعليه فهي تعني تكريس مطلق، وتقديم أنفسنا ليسوع المسيح، وتفريغها كليًا من أجله، كإناء يجري تفريغه، وذلك لكي نصبح فارغين من ذواتنا، وفقراء روحيًا إلى الله. وقد تعمّد المسيح في نهر الأردن، يقول بولس الرسول، إننا بمجرد أن نهتدي ونتعمَّد – وبمجرد أن نقرر إتِّباع يسوع – ينبغي أن لا نعود ونضع أعضاء جسدنا رهن إشارة الخطيئة. فعندهم أن المعمودية علامة وختم تطعيم في جسد المسيح، واتحاد فيه لمغفرة الخطايا وتجديد الخلقة بالميلاد الثاني ونوال التبنى للحياة الأبدية، حتى أن الماء في المعمودية هو صورة تمثل دم المسيح الذى رفع عنهم كل خطاياهم، وقدسهم بالروح القدس، فالمعمودية عندهم تمثل غسل الخطايا بموت وقيامة المسيح؛ المسكين، متى، المعمودية الأصول الأولى للمسيحية، الطبعة الأولى، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادى النطرون، ٢٠٠٠م، ٢٦.

[٣٨] الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين، إصحاح ١١، آية ٧.

[٣٩] الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، إصحاح ٣، آية ٣٦.

[٤٠] الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، إصحاح ٤، آية ١٢.

[٤١] الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، إصحاح ١١، آية ٣٨.

وفى تصوير وقوفهم للصلاة داخل الفلك دعوة إلى استمرارية العمل، كي يهيؤا لأنفسهم وأبنائهم فلك المسيح الذي ينقذهم من الضيقات ومن بحيرة النار، ويضعهم في ظل القدير، " الساكن في ستر العلي فى ظل القدير يبيت"[٤٢].

وفى عددهم داخل الفلك تأكيد على ولادة الأمل وعودته من جديد، فهم ثمانية أشخاص داخل الفلك، الرقم ثمانية يشير إلي الحياة ما بعد الزمن، حيث يشير رقم سبعة إلي أيام الأسبوع، بينما رقم ثمانية يعني تعدى حدود الزمن وتجدد الحياة[٤٣].

تلك الدلالات المرتبطة بأفراد عائلة نوح، استطاع القديسون من خلال تصويرها أن يجسدوا الأمل أمام أعين أفراد مجتمع الواحات، فصاروا تحدوهم الآمال العريضة، ووضعوا نصب أعينهم أهدافًا كبيرة تستحق بذل الجهد من أجل تحقيقها، لقد صارت لديهم رؤية توحى بأن كل شيء سيصبح جيدًا، وصار لديهم اعتقاد بأنهم يمتلكون الإرادة والوسيلة لتحقيق أهدافهم[٤٤].

ثالثًا عنصر الطيور (شكل-٣، ٤): مما يحسب للفنان أنه رغم اشتمال الأمر الكتابي لنوح أن يحمل معه فى الفلك من كل الدواب والحيوانات والوحوش والطيور اثنين اثنين[٤٥]، إلا أنه حينما نفذ المنظر ركز على طائرين فقط من بين كل ما ذكر، وهما الغراب (شكل-٣ والحمامة[٤٦]، وذلك لما لهما من أهمية بالغة فى الموضوع ككل، وفى خدمة القضية التى يهدف القديسون لحلها ومعالجتها على أرض الواقع.

لقد مضى أربعون يومًا على ظهور رؤوس الجبال، عندئذ فتح نوح طاقة الفلك التى كان قد عملها وأرسل غرابًا، فكان الغراب مترددًا، ينطلق إلى حيث الجيف النتنة ليعود مرة أخرى

---

[٤٢] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، إصحاح ٩١، آية ١.

[٤٣] فهو أول أيام الأسبوع الجديد، ٨ أشخاص نجوا في الفلك ودخلوا الأرض الجديدة (١ بطرس ٣:٢٠)، قيامه السيد المسيح من الأموات كانت في اليوم الثامن –حسب معتقدهم–، حلول الروح القدس على التلاميذ كان في اليوم الثامن، يسجل الكتاب المقدس أن ٨ أشخاص أقيموا من الموت، ابن أرمله صرفه (١ ملوك ١٧)، أبن الشونميه (٢ ملوك ٤)، الذي مس عظام أليشع (٢ ملوك ١٣)، أبنه يايرس (مرقس ٥)، أبن أرمله ناين (لوقا ٧)، لعازر (يوحنا ١١)، طابيثا (أعمال الرسل ٩)، أفتيخوس (أعمال الرسل ٢٠)؛ للاستزادة حول الأرقام ومدلولاتها فى الكتاب المقدس راجع؛ المصري، أوريجانوس، الأرقام في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، تاريخ النشر ١٧ مارس ٢٠١٣م، https://arabchurch.com/forums/threads/؛ بيشوي، لوكاس، الإعجاز فى الكتاب المقدس رموز الأرقام، مطبعة دير السريان، وادى النطرون، ٢٠١٥م، ٢٢.

[٤٤] اعتمد القديسون من خلال المنظر على ترسيخ الأفكار المرتبطة بالأمل عن طريق تعديل الأفكار السلبية وتغييرها، والاعتماد على تراكمات المعتقدات المرجعية الذاتية للفرد الأنموذج، والتركيز على الإنجازات التى حققها نوح والأهداف التى وصل إليها فى النهاية، ومن هنا استطاع القديسون أن يصنعوا من نوح وقصته انعكاسًا حقيقيًا يستدعى الطاقة الذهنية اللازمة ويحفظ الروح المعنوية المفعمة بالأمل ويبتكر مسارات عقلية إيجابية تبنى ولا تهدم، وتعيد الثقة فى النفس وتعطى أملًا بأن القادم أفضل؛ للاستزادة راجع؛ أبو الديار، مسعد نجاح، سيكولوجية الأمل، الطبعة الأولى، مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠١٢م، ٦٦-٦٧.

[٤٥] "ومن كل حي من كل ذي جسد، اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى. ٢٠ من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها. ٢١"؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح ٦، آيات ١٩: ٢٢.

[٤٦] "٦ وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا، ٧ وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ٨ ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، ٩ فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. ١٠ فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، ١١ فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. ١٢ فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا"؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح ٨، آيات ٦: ١٢.

إلى الفلك ولكنه يقف خارجه، وهكذا كان يراه نوح مترددًا. عاد نوح فأرسل حمامة وإذ لم تجد مقرًا لرجلها رجعت إليه إلى الفلك، فمد يده وأخذها عنده، فلبثت أيضًا سبعة أيام، وعاد فأرسلها فجاءته عند المساء ومعها ورقة زيتون خضراء فى فمها، وبعد سبعة أيام أخر أرسلها فلم ترجع إليه، وكان فى ذلك إشارة لانطلاق الموكب كله إلى الأرض الجديدة بعد أن توقف الماء وجف.

الغراب هنا يشير إلى الخطية التي يجب أن تطرد، وتنطلق فلا تعود تدخل إلى الفلك؛ بل تبقى مترددة بين الجيف الفاسدة والفلك من الخارج. استطاع القديسون من خلال قصة الغراب أن يغرسوا في نفوس أبناء الواحات أن لا نضع ثقتنا على أي شيء منظور أياً كان، بل لتتعلق قلوبنا وعيوننا على الله وحده، لقد كان الكتاب واضحاً فى ذلك، وحذَّر من الاتكال على الإنسان بصفة عامة، فيذكر إرميا التحذير الصارم للرب: "هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه"[٤٧].

أما الحمامة (النفس المؤمنة) فلا تستريح إلاّ فى يدي نوح، خرجت من الفلك ثلاث مرات، فى المرة الأولى لم تجد لرجلها مقرًا، إشارة إلى النفس الملتهبة بالروح القدس – الحمامة السماوية – التي لا يمكن أن تستقر أو تستريح على الجيف الفاسدة. إنها منجذبة في غربتها نحو الفلك، تجد يد مسيحها ممتدة لتحملها فى حضنه كموضع راحة. في المرة الثانية خرجت إلى العالم لتعود تعلن سلام المسيح خلال العالم الجديد، بعد اختفاء الجيف ونزع الفساد بظهور الحياة الجديدة في المسيح يسوع. في المرة الثالثة خرجت من الفلك ولم تعد، لا لتترك نوحًا وإنما إشارة لانطلاق الموكب كله إلى الأرض الجديدة، وكأنها تمثل الإنسان وقد انطلق إلى الأبدية كحياة جديدة، فلا يعود بعد بالجسد داخل الكنيسة المنظورة على الأرض، وإنما وهو عضو فيها انطلق إلى حيث يلتقي الموكب كله على السحاب ويدخل إلى الأمجاد[٤٨].

الحمامة تختلف عن الغراب كثيرًا. فبينما الغراب يتلذذ بالجيف، ولا يجد فيها ما يُنفِّر، بل نجده ينتقل من واحدة إلى أخرى بكل سهولة، حيث يجد فيها طعامًا شهيًا له، نجد الحمامة تأبى لا أن تقف على الجيف فحسب، بل مجرد أن تتلامس معها. إنها لا تعرف أن تتعامل مع هذه الجيف النجسة الفاسدة بأي صورة من الصور. ولا تجد فيها سوى كل ما يُنفِّرها ويبعدها عنها[٤٩]، هناك غريزة مميزة في الحمام، وهو أنه يألف بيته وعشه، ولا يرضى به بديلاً،

---

[٤٧] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إرميا، إصحاح ١٧، آية ٥.

[٤٨] ملطي، تادرس يعقوب، تفسير الكتاب المقدس – العهد القديم، تفسير سفر التكوين (٨)، خلاص نوح بالفلك، https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin_01-Chapter-08.html#6

[٤٩] إبراهيم، عاطف، سلسلة من طيور الكتاب المقدس (الحمامة)، مجلة رسالة الشباب المسيحي، ع ٥، ٢٠٠٤م، http://www.rshabab.org/article.aspx?id=356

فالمكان الذي نشأ فيه أصبح جزءاً من كيانه لا يمكنه الابتعاد عنه، وقد ألمح إشعياء إلى هذه الغريزة العجيبة "مَنْ هؤلاء الطائرون كسحابٍ وكالحمام إلى بيوته"[٥٠].

إن في ذلك حث من القديسين لأهل الواحات أن يلتجأوا إلى موضع محدَّد لا ينبغى أن يخطئوه، وهذا الموضع يتميز عن كل ما عداه، إذ فيه يستشعروا حضور الرب ذاته حيث كل غناه وبركاته، وأيضًا رضاه، وهذا الموضع هو واحد، وإن اختلفت الأزمنة والأوقات، إنه بيت الله على الأرض، فيصيروا بداخله كالحمامة فى الفلك.

إنها بعد أن تعبت كثيرًا فى البحث عن موضع لها، عادت إلى الفلك، وكم كانت يد نوح الممتدة لها الظاهرة من الفلك، تحمل لها الكثير من التشجيع والتعزية، ففى كل ما يُحيط بها لم تجد ما تقف عليه لتلتقط أنفاسها وتستريح، سوى هذه اليد الأمينة الوفية المرفوعة إليها، إنها وجدت أخيرًا مقرًا لرجلها، وكان ذلك المقر ليس سوى يد نوح نفسه[٥١].

رابعًا غصن الزيتون (شكل-٥): عندما أرسل نوح الحمامة في المرة الثانية نجدها وقد عادت فى المساء، وفي فمها غصن زيتون. لا شك أن الحمامة استمتعت طوال هذا اليوم بالانتقال من شجرة إلى أخرى، وبالتقاط ما يناسبها من الطعام. وها اليوم قد أمسى وأوشك على الانتهاء، فإذا بها تقصد العودة إلى الفلك، وفى فمها غصن الزيتون. إن هذا المشهد ليس مألوفًا فى الحمام، ونحن لا نعرف يقينًا ما الذى دعا الحمامة أن تفعل ذلك، غير أنه ربما قصدت أن تأخذ معها ما يُبرهن لنوح أن المياه قد انحصرت مفسحة المجال لظهور أرض جديدة، مورقة مزهرة، مليئة بالثمار والخيرات، وها هي راجعة وفى فمها الصغير ما يعبر عن هذا الخبر المُفرح المبهج.

وكم نخسر كثيرًا من الدروس والمعاني إن تجاهلنا ما يُشير إليه غصن الزيتون، فعلى مر التاريخ نجد إجماعًا على أن غصن الزيتون يُعبِّر عن السلام، وإن تساءلنا عن سر هذا الإجماع، لا نجد جوابًا شافيًا سوى فى قصة نوح هنا، إن رجوع الحمامة إلى نوح وفى فمها غصن الزيتون إعلان واضح عن انتهاء الغضب والدينونة، وولادة أرض جديدة مطهرة، وإعلان عن إشراق عهد جديد ملؤه السلام والخير والبركة.

وكأن القديسين يقولون لأهل الواحات: ما أروع أن ترتبط حياتنا بغصن الزيتون، أي برسالة سلام نعلنها لكل مَنْ حولنا، منفذين قول الرسول "إذًا نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ

---

[٥٠] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إشعياء، إصحاح ٦٠، آية ٨.

[٥١] إبراهيم، عاطف، سلسلة من طيور الكتاب المقدس (الحمامة)، مجلة رسالة الشباب المسيحي، ع ١، ٢٠٠٥م، http://www.rshabab.org/article.aspx?id=107

بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله"[٥٢]، وبذلك نتشبه بمن قال عنهم إشعياء "ما أجمل على الجبال قدمي المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص"[٥٣].

لقد ناشدوهم أن يكونوا كغصن الزيتون، رمزًا للسلام من جوانب كثيرة، منها أن شجرة الزيتون دائمة الاخضرار وكأنها تمثل الإنسان المملوء سلامًا لا تفقده العواصف اخضراره؛ ومن جانب آخر فإن زيت الزيتون متى سكب عليه سائل آخر كالماء فإنه لا يفسد، بل يطفو على الماء دون أن يمتزج به، وكأنه بالإنسان الذى متى صدمته مياه التجارب يعلو عليها ويطفو فوق الضيق[٥٤].

٦-الأسلوب الفني ودوره في إبراز الفكرة وإيصالها من خلال موضوع فلك نوح: استطاع الفنان من خلال أسلوبه الفني أن يهب القديسين مهارات خاصة لعرض وتقديم رسائلهم وأفكارهم بشكل واضح وصحيح أمام الجماهير من أهل الواحات، واستطاعوا من خلال هذا الأسلوب تحسين طريقة التقديم وتعزيز قدرات الإقناع، من خلال الصدق والاتصال المرئي والتواصل مع الجمهور ، وجعل العرض التقديمي بسيطًا، ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أولًا إتقان فن العرض والتقديم: استطاع الفنان أن يعرض الموضوع المصور ويقدمه للمشاهد وكأنه يعاين حياة نوح ليس داخل الفلك فقط؛ بل قبل وأثناء وبعد الفلك، وذلك رغم تركيزه على حدث واحد أو مرحلة واحدة فقط من مراحل حياة نوح، وهي مرحلته داخل الفلك، لقد ركز الفنان على إبراز المرحلة الوسطى من مراحل حياة نوح، وترك للقديسين مهمة توضيح السباق واللحاق للسياق المصور، ومن هنا نجح الفنان في ربط المشاهد بالموضوع المصور أولًا، وبالمصدر الذى نهل منه الفنان هذا الموضوع ثانيًا، هذا المصدر هو الكتاب المقدس، والذى متى رجع إليه المشاهد –وهو المطلوب تحقيقه– اطلع على القصة كاملة ليجد نفسه أمام رحلة عمر تمثل حياته هو، وكأن الكتاب المقدس ذكر قصة نوح ليضع كل مستضعف في الأرض نفسه مكان نوح، ويسير على خطاه، حتى يصنع له في النهاية فلكًا يبحر من خلاله إلى الخلود والنعيم الأبدي، والراحة السرمدية بعد مكابدة الدنيا الفانية. ومن هنا نجد الفنان والقديسين نجحوا في ترك انطباعًا قويًا في عقول الجمهور من أهل الواحات.

---

[٥٢] الكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، إصحاح ٥، آية ٢٠.

[٥٣] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إشعياء، إصحاح ٥٢، آية ٧.

[٥٤] ملطي، تادرس يعقوب، تفسير الكتاب المقدس – العهد القديم، تفسير سفر التكوين (٨)، خلاص نوح بالفلك، https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-08.html#6

ثانيًا الترتيب المناسب والتسلسل المنطقي لعناصر وأحداث الموضوع المصور: أول ما وضع الفنان أمام ناظري المشاهد تلك الأمور المهمة التى يود أن يلفت انتباهه إليها، فإذا به يضع فى صدر الفلك نوحًا وعائلته وهم جميعًا فى وضع الصلاة، وكأنه يقول للمشاهد المحطم: لتكن الصلاة أول ما تفزع إليه وقت المحن والشدائد.

بعد أن نجح فى أن يلفت نظر المشاهد لهذا الأمر المهم، بدأ يتدرج معه فى الأحداث الأخرى ليبرز له رويدًا رويدًا تفاصيل القصة من أولها لآخرها، فأضفى على الفلك طابعًا معينًا فى الشكل والتصميم، ليريه أن نوحًا صنع الفلك بأمر الله وعلى النحو الذى أمر به، ثم تدرج به إلى خارج السفينة ليربطه بسبل قد تودى به إلى الطرد والهلاك ممثلة فى منظر الغراب الخارج من الفلك، وأخرى قد تحقق له القبول والأمان ممثلة فى الحمامة العائدة إلى الفلك، وختم المشهد كله بغصن الزيتون الذى يدعوه لأن يكون مثله رمزًا للسلام وحاملًا للوائه في كل أرجاء المعمورة.

ثالثًا إصفاء الطابع التفاعلي: تعد هذه النقطة من أهم النقاط التى اعتمد عليها الفنان فى أسلوبه الفني، وقد نجح الفنان فى إضفاء الطابع التفاعلى من خلال عدة أمور، منها تحديد الهدف من الموضوع المصور، والهدف هو تقديم نموذج حقيقي لأهل الواحات يكون مشابهًا لواقعهم، يستطيع القديسون من خلاله إعادة الثقة فى نفوس القوم، وربطهم بالدين مرة أخرى بعد أن تدهورت الديانة خلال هذا العصر، وقد نجح الفنان فى ذلك، وربما كان أكبر دليل على نجاحه توفيقه فى اختيار الموضوع، والذى بناء عليه تحقق الهدف المرجو.

ومنها تحديد الجمهور المستهدف، والجمهور المستهدف هم أهل الواحات، وكي يضمن الفنان أن يصل الموضوع إلى كل فئات المجتمع الواحاتي خلال هذا العصر، اختار أن ينفذ موضوعه فى مكان مهم يقصده كل الناس فى هذا الزمان، إما للتعبد أو دفن الموتى أو الانتفاع بالقديسين الذين أقاموا فى هذا الموطن، وكان لذلك أكبر الأثر فى عودة الثقة إلى نفوس الناس، واختيارهم للمسيحية على سائر الأديان خلال تلك الفترة.

ومنها استخدام لغة الجسد بين المُشَاهِد والأشخاص المصوَّرين فى المشهد، والحقيقة أن لغة الجسد هنا لعبت دورًا مهمًا فى إيصال الرسالة ونقل الفكرة بشكل فعال، كما أبرزت الشغف وبنت الثقة بين المتحدث –الموضوع المصور– والجمهور. لقد نجح الفنان أن يخلق تأثيرًا قويًا ويعبر عن رؤيته وأفكاره بطريقة مؤثرة وجذابة للجمهور من خلال نظرة المواجهة، والنظر المباشر مع الثقة من الأشخاص المصورين إلى الجمهور، واستخدام حركات اليدين فى وضعية الصلاة، بالإضافة إلى الإيماءات لتوضيح الأفكار وإبراز النقاط الرئيسية، كما فعل نوح حينما مد يده للحمامة وهو فى الصلاة.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

الخاتمة

لعب موضوع فلك نوح دورًا مهمًا فى تشكيل وعي وثقافة مجتمع الواحات خلال الفترة من القرن الخامس إلى السابع الميلادي، وهذا ما نتبينه من خلال ما توصلنا إليه من النتائج التالية:

-أثبتت الدراسة أنه رغم الاهتمام الكبير من قبل الرومان بالواحات، إلا أن أهلها عوملوا معاملة قاسية.

-أثبتت الدراسة أن الرومان كان لهم موقف صارم من رجال الدين المصريين، الذين كانوا يمثلون القيادة المنظمة الوحيدة للأهالى، فعمدوا إلى تجريد الزعامة الدينية من الأساس المادي لسطوتها.

-توصلت الدراسة إلى أن نفي كثير من أصحاب المذاهب المختلفة من أمثال نسطورس وأثناسيوس، جعل من أرض الواحات ساحة للصراعات الفكرية بين مختلف المذاهب.

-توصلت الدراسة إلى أن مجتمع الواحات سار خلف الكنيسة القبطية الوطنية، وتبنى مذهبها ورجالها عن قناعة تامة، وبالتالى جاءت الموضوعات المصورة لتؤكد على ذلك، سواءً فى عناصرها أو أسلوبها، أو حتى الأهداف التى ترمى إليها.

-توصلت الدراسة إلى أن الفنان كان موفقًا فى اختياره لموضوع فلك نوح وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة.

-توصلت الدراسة إلى أن الفنان حاول أن ينفذ منظر فلك نوح كما ورد بسفر التكوين من أسفار العهد القديم بالكتاب المقدس.

-بينت الدراسة أن القديسين استغلوا الصلة بين الفلك الخشبي وطوفان الماء، فى ربط أذهان أفراد مجتمع الواحات بعقائد المسيحية.

-بينت الدراسة نجاح الفنان فى استغلال الدلالات المرتبطة بأفراد عائلة نوح، كي يجسدوا الأمل أمام أعين أفراد مجتمع الواحات، فصارت تحدوهم الآمال العريضة، ووضعوا نصب أعينهم أهدافًا كبيرة تستحق بذل الجهد من أجل تحقيقها.

-بينت الدراسة تركيز الفنان على طائري الغراب والحمامة وذلك لما لهما من أهمية بالغة فى الموضوع ككل، وفى خدمة القضية التى يهدف القديسون لحلها ومعالجتها على أرض الواقع.

-بينت الدراسة أن موضوع فلك نوح يمثل أوضح نموذج يرمز فيه غصن الزيتون للسلام.

-أوضحت الدراسة نجاح كل من الفنان والقديسين في استغلال موضوع فلك نوح لإعادة الثقة وبناء الإيمان في نفوس أهل الواحات خلال الفترة محل الدراسة.

المصادر والمراجع

الكتاب المقدس

المصادر

- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١

- القيصري، يوسابيوس، حياة قسطنطين العظيم، ترجمة مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧٥م.

-الجميل، بطرس، السنكسار

المراجع العربية

-رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (١٣٤م- ٦٣٤م)، جـــ١ ، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١م.

-غريغوريوس، الأنبا، القديس البابا أثناسيوس الرسولي حامى الإيمان، مصر: مكتبة الأنبا غريغوريوس بدير الأنبا رويس بالعباسية، ٢٠٠٤م.

-مكاريوس، الأنبا، تعرف على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ط.٢، مصر: مطبعة النوبار بالعبور، ٢٠١٠م.

-واصف، أمين ومحمود، عبد العزيز،إتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٨م.

-الشرقاوي، باسم سمير، تاريخ مصر القديم من الإسكندر الأكبر (٣٣٢ ق.م) إلى عمرو بن العاص (٦٤٢م)، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٣م.

-نور الدين، عبد الحليم، مواقع الآثار اليونانية والرومانية فى مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م.

-الرافعي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٠م.

-آدم، عصام أحمد، صحراوات مصر دورها فى حفظ وتطور فكر الأقباط خلال الفترة من القرن الأول إلى السابع الميلادي- دراسة حضارية أثارية فنية، حولية الاتحاد العام للأثاريين العرب، مج ٢٦، ع ٢٦، ٢٠٢٣م.

، الرسوم والتصاوير الجدارية بكنائس وأديرة البحر الأحمر، الطبعة الأولى، دار أوراق، القاهرة، ٢٠٢١م.

، رؤية جديدة لتعددية مدلول الرمز فى الفن المسيحي القبطي- دراسة فنية تحليلية تطبيقًا على نماذج مختارة، مجلة الأقصر الدولية للدراسات الأثارية، مج ٦، ع ٢، ٢٠٢٣م.

-بيشوي، لوكاس، الإعجاز فى الكتاب المقدس رموز الأرقام، مطبعة دير السريان، وادى النطرون، ٢٠١٥م.

-مسعود، محمود محمد، أشهر العمائر الدينية والجنائزية بواحتي الداخلة والخارجة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٤م.

-المسكين، متى، القديس أثناسيوس الرسول البابا العشرون، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادى النطرون، د.ت.

، المعمودية الأصول الأولى للمسيحية، الطبعة الأولى، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادى النطرون، ٢٠٠٠م

-أبو الديار، مسعد نجاح، سيكولوجية الأمل، الطبعة الأولى، مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠١٢م.

-الأورشليمي، يسطس، الرهبنة القبطية وآثارها الدينية فى الواحات المصرية، الطبعة الأولى، مطبعة آي برنت، الجيزة، ٢٠١٧م.

المراجع المعربة:

-فخري، أحمد، الصحراء المصرية- جبانة البجوات فى الواحة الخارجة، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، مصر: سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية- مشروع المائة كتاب، ١٩٥٠م.

- تيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، ط.١، مصراته: الدار الجماهيرية، ليبيا، ٢٠٠٤م.

- لويس، نافتالى، الحياة فى مصر فى العصر الروماني (٣٠ ق.م- ٢٨٤م)، ترجمة آمال الروبي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م.

-إدريس بل، هارولد، الهيلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة زكي على، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨م.

المراجع الأجنبية

VASILIEV, History of the byzantine Empire 324-1453, Madison, -ed.2, 1952

المواقع الإلكترونية

https://www.rlhymersjr.com/Online_Sermons_Arabic/2014/06014AM_NoahsArk.html
/https://arabchurch.com/forums/threads
https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-08.html#6
http://www.rshabab.org/article.aspx?id=356
http://www.rshabab.org/article.aspx?id=107

الكتالوج
أولًا المساقط والأشكال

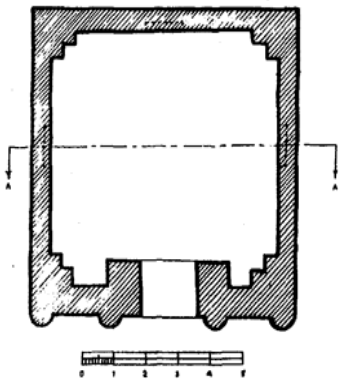

(مسقط-١) مسقط أفقي لمزار السلام- عن؛ فخري، أحمد، الصحراء المصرية- جبانة البجوات فى الواحة الخارجة، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، مصر: سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية- مشروع المائة كتاب، ١٩٥٠م، ١٠٣.

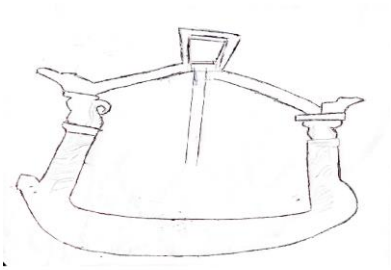

(شكل-١) تفريغ لفلك نوح بمزار السلام- عمل الباحث.

(شكل-٢) تفريغ لعائلة نوح داخل الفلك بمزار السلام- عن؛ فخري، أحمد، الصحراء المصرية- جبانة البجوات فى الواحة الخارجة، ١١٢.

(شكل-٣) تفريغ لشكل الغراب فى فلك نوح بمزار السلام- عمل الباحث.

(شكل-٤) تفريغ لشكل الحمامة فى فلك نوح بمزار السلام- عمل الباحث.

(شكل-٥) تفريغ لغصن الزيتون فى فلك نوح بمزار السلام- عمل الباحث.

ثانيًا اللوحات

(لوحة-١) الواجهة الرئيسية لمزار السلام- تصوير الباحث.

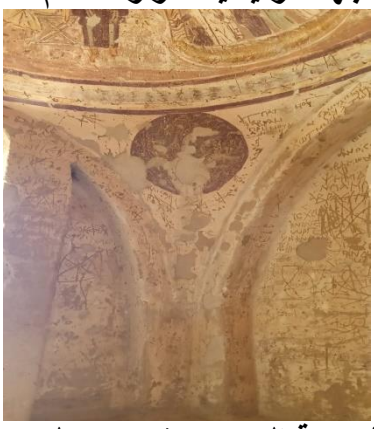

(لوحة-٢) إحدى المثلثات الكروية المحصورة بين رجلي عقدين بمزار السلام- تصوير الباحث.

(لوحة-٣) الشيطان فى صورة حية يوسوس لآدم وحواء بمزار السلام- تصوير الباحث.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

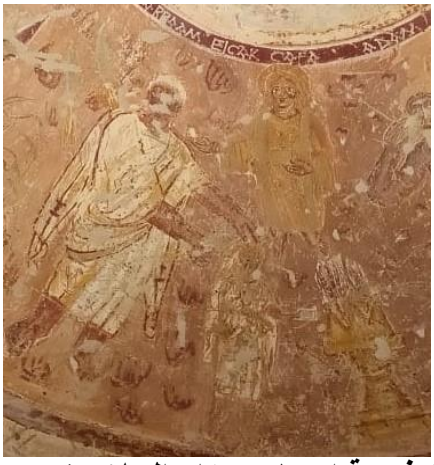

(لوحة-٤) ذبيحة إسحاق بمزار السلام- تصوير الباحث.

(لوحة-٥) دانيال فى جب الأسود بمزار السلام- تصوير الباحث.

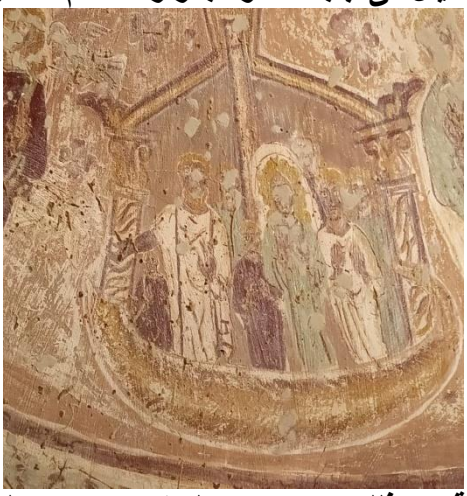

(لوحة-٦) فلك نوح بمزار السلام- تصوير الباحث